﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود: 17]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ربطُ حبطِ الأعمالِ وجزاءِ الضّلالِ بعدمِ التّسويةِ بينَ المُهتدي والمُعتدي

لمّا اتَّضَحتِ الحُجَجُ، وانتهضتِ الدَّلائلُ، فأغرقَتهُم عوالي اللُّججِ، كانَ ذلك مَوضِعَ الإنكارِ على مَن يُسوِّي بينَ المُهتدِي والمُعتدِي، فكيفَ بمَن يُفضِّلُ إمّا باعتبارِ النَّظرِ إلى الرّئاسةِ الدُّنيويّةِ غفلةً مِن حقائقِ الأمورِ، وإمّا عنادًا كمَن قالَ مِنَ اليهودِ لِلمُشركين: أنتُم أهدى منهُم، فقالَ تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾[1].

وأيضًا: لمّا ذَكَرَ اللّه تعالى المُكذِّبينَ بالقرآنِ، وذكرَ أوصافَهُم ومُكابرتَهُم، وبيَّنَ أحوالَهُم، فرَّعَ عليه تفريعَ الضّدِّ على ضدِّهِ، فَذَكَرَ حالَ مَن هُم عكسُ أولئكَ ممّن نفعَتهُمُ البيّناتُ والشّواهدُ، فَهُم يُؤمنونَ بالقرآنِ، وهُمُ المُسلمونَ، فجاءَت هذه الآيةُ في بيانِ أوصافِ المؤمنينَ في مُقابلِ أوصافِ أولئكَ المُكذِّبينَ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بَيِّنَةٍ﴾: يدورُ معنى الكلمةِ على الوضوحِ وظهورِ الشّيءِ، بحيثُ لا يشكُّ فيهِ، وبانَ الشَّيءُ: اتّضَحَ فهو بَيِّنٌ، والبيّنةُ هو الأمرُ الظّاهرُ الواضحُ في نفسِهِ، فَيُسَلَّمُ مِنَ الجدالِ، وقد تكونُ عقليّةً أو

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/252.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/134، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/26.

محسوسةً، يُقالُ بَيَّنتُهُ وأبَنتُهُ: إذا جعلتَ لهُ بيانًا تكشِفُهُ[1]، و﴿بَيِّنَةٍ﴾ هنا بمعنى الفطرةِ أو القرآنِ[2].

2) ﴿وَيَتْلُوهُ﴾: يدورُ معنى جذر الكلمةِ على اتّباعِ الشّيءِ ما يسبقُهُ لحوقًا بهِ مِن خلفِهِ، وإمّا أن يكونَ لفظُ ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ هنا مِنَ التُّلوِ، وهو الاتِّباعُ، يُقالُ: تَلَوتُهُ إذا تَبِعتَهُ مُتابعةً ليسَ بينَهُم ما ليسَ منهَا، ويكونُ الاتّباعُ بالجسمِ أو بالاقتداءِ في الحُكمِ، ومعنى ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ على هذا التّوجيهِ (يتبعُهُ)، وإمّا أن يكونَ مِنَ التّلاوةِ؛ بمعنى: القراءةِ، ومِنهُ تِلاوةُ القُرآنِ؛ لأنَّهُ يُتبِعُ آيةً بَعدَ آيةٍ، والمعنى على هذا التّوجيهِ (يقرأُهُ)[3].

3) ﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾: الحِزبُ والحِزباءُ: الأرضُ الغليظةُ الشّديدةُ، وهو الأصلُ في الكلمةِ، ومِن ذلكَ: حِزبُ الرّجلِ: أصحابُهُ وجُندُهُ الّذين على رأيِهِ، فَهُم مجموعةٌ مُتماسِكةٌ مُتميّزَةٌ عنِ الآخرين، والحِزبُ الجماعةُ المُتماسِكةُ مِنَ النّاسِ، المُتميّزةُ عنِ الآخرينَ، المتَّفقةُ في الرّأيِ والهوى، والّتي يكونُ فيها غلظةٌ بتماسُكِها، والطّائفَةُ مِنَ النّاسِ حِزبٌ[4]، ومعنى ﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾ في الآيةِ جميعُ أهلِ الملِلِ المُتحزِّبةِ من غيرِ المُسلمينَ[5].

4) ﴿مِرْيَةٍ﴾: المِريةُ التَّردُّدُ في الأمرِ، وهي أخصُّ مِنَ الشّكِّ، وذهبَ بعضُ اللّغويّينَ إلى أنَّها الشَّكُّ، وأصلُ الكلمةِ مِن (مَرَيتُ النّاقةَ)، إذا مَسَحتُ ضَرعَها باليدِ للحَلبِ، ومِن هذا: المِراءُ بمعنى المجادلةِ؛ إذ هي بسببِ الشّكِّ وعدمِ اليقينِ في ما يقولُ الآخرُ[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اختلفَ المفسّرونَ في بيانِ معنى هذه الآيةِ للاختلافِ في المرادِ مِن أربعِ كلماتٍ؛ هي: ما المرادُ بمَن وَصَفَهُ اللّه تعالى بأنَّهُ على بَيِّنَةٍ مِن ربِّهِ مَن هوَ؟ وما المُرادُ بهذهِ البيِّنَةِ؟ ودلالةُ قولِهِ: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾، هل بمعنى تلاوةِ القُرآنِ أو بمعنى أن يقعَ عَقيبَ غيرِهِ؟ والمُرادُ بالشّاهدِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (بين)

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/311، والنّيسابوريّ، إيجاز البيان، ص: 409.

(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (تلا)، والرّاغب، المفردات: (تلى)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (تلو - تلى)، والبغويّ، معالم التّنزيل: 4/176، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/158.

(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (حزب).

(5) ابن جرير، جامع البيان: 15/278، والبغويّ، معالم التّنزيل: 4/167.

(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مري)، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (مرى)، وابن الجوزيّ، تذكرة الأريب، ص: 160.

ما هوَ؟ فهذهِ الألفاظُ الأربَعَةُ مُجمَلَةٌ، فلهذا كَثُرَ اختلافُ المُفَسِّرينَ في هذهِ الآيةِ، كما وَقَعَ خلافٌ في عودِ بعضِ الضّمائرِ فيها، وذُكِرَت تفسيراتٌ مُتنوِّعةٌ لهذهِ الآيةِ، وقد أوجزَ ابنُ عطيّة اختلافَهُم، فيمكنُ الرّجوعُ إليهِ[1]، ونوجزُ هنا المعنى الإجماليَّ بذكرِ وجهين لِلمعنى ممّا ذكرَهُ جمهورُ المفسِّرينَ، ويلتئمُ بهِ مَبنَى الآيةِ وسياقُها.

قراءةُ القرآنِ مِن غيرِ إيمانٍ لا تنفعُ في الآخرةِ، والتّكذيبُ بالقرآنِ سببٌ لِلخلودِ في النّارِ

أفمَن كانَ على حجَّةٍ وبرهانٍ مِن ربِّهِ وهو القرآنُ، ويتلوه برهانٌ آخرُ شاهِدٌ مِن ربِّ العالمينَ، وهو جبريلُ أو محمَّدٌ عليهما الصّلاةُ والسّلام، ويؤيّدُ ذلك برهانٌ ثالثٌ مِن قبلِ القرآنِ، وهو التّوراةُ كتابُ مُوسى الّذي جعلَهُ اللّه إمامًا يُؤتمُّ بهِ في الدّينِ، ورحمةً لِمَن عملَ بهِ مِن بني إسرائيلَ قبلَ نسخِهِ بالقرآنِ، فقد بَشَّرَ بمجيءِ محمَّدٍ ﷺ وبالقرآنِ، كمَن كانَ يُكذِّبُ بالقرآنِ، ويريدُ الحياةَ الدّنيا وزينتَها، ويعرضُ عنِ الآخرةِ؟! لا يَستويان، أولئكَ يُصدِّقونَ بهذا القرآنِ، ويَعملونَ بأحكامِهِ، ومَن يكفرْ بهذا القرآنِ أنَّه مِن عندِ اللّه مِنَ الّذين تحزَّبوا على رسولِ اللّه ﷺ، فالنّارُ مكانُ وعدِهِ، يصيرُ إليها في الآخرةِ، يَردُها لا مَحالةَ، فلا تكُ أيُّها الرّسولُ في شكٍّ مِن أمرِ القرآنِ، وكونِهِ مِن عندِ اللّه تعالى بعدَ ما شهدَت بذلكَ الأدلّةُ والحججُ، إنّ هذا القرآنَ الّذي أنزلناهُ إليكَ هو الحقُّ مِن ربِّكَ لا شكَّ فيهِ، ولكنّ أكثرَ النّاسِ لا يُصدِّقونَ بأنَّ ذلكَ كذلكَ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الاستفهامِ المجازيِّ:

شتّانَ بينَ مَن كانَ على بيّنةٍ مِن ربِّهِ، ومَن يريدُ الحياةَ الدّنيا وزينتَها فقط

قولُهُ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾، وفيه تحتملُ الهمزةُ أن تكونَ للاستفهامِ الإنكاريِّ، وتكونَ الفاءُ للتّعقيبِ، بمعنى إنكارِ أنْ يَعقُبَ مَن كانَ على بيّنةٍ مِن ربِّهِ من كانَ يريدُ الحياةَ الدّنيا وزينتَها؛

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/157، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/330.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/159، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 223.

أي: إنكارُ تَوهُّمِ المقاربةِ بينَهُما في المَنزِلةِ، وتقديرُهُ: أفَمَن كانَ على بَيِّنَةٍ كَمَن كانَ يريدُ الحياةَ الدّنيا؛ أي: أيثبتُ في العقولِ، ويحصلُ في الوجودِ، مثلُ هذا التَّوهُّمِ؟!، فيفيدُ الإنكارُ تباينَ المَنزِلتين، كما تحتملُ أن تكونَ لِلتّقريرِ بمعنى تقريرِ إيمانِ مَن كانَ على بيّنةٍ مِن ربِّهِ، وتكونَ الفاءُ للتّفريعِ، بمعنى: إنْ كَفَرَ بها هؤلاء الّذينَ يريدونَ الحياةَ الدّنيا وزينتَها فيؤمنُ بها مَن كانَ على بيّنةٍ مِن ربِّهِ[1].

دلالةُ الاسمِ الموصولِ ﴿أَفَمَن﴾:

يفيدُ الاسمُ الموصولُ هنا معنى العموم، فيَعَمُّ كُلَّ مُؤمِنٍ مُخلِصٍ، ويدخلُ فيه النّبيُّ ﷺ دخولًا أوّليًّا، وذهبَ بعضُ المفسِّرينَ إلى أنَّ المرادَ به النّبيُّ ﷺ، وذهبَ آخرون إلى أنَّ المرادَ مُؤمِنو أهلِ الكتابِ[2].

كـلُّ مُـؤمِـنٍ هو عـلى بـيّـنـةٍ مِـن ربِّـــهِ، وهــو في حـمـى رحـمـتِـهِ ولطفِهِ

براعةُ الحذفِ في الآيةِ الكريمةِ:

حُذِفَ المُقابِلُ في الآيةِ اكتفاءً بدلالةِ ما ذُكِرَ عليه منه، والتّقديرُ: أفمَن كانَ على بيّنةٍ مِن ربِّهِ، ويتلوهُ شاهِدٌ منهُ، ومِن قبلِهِ كتابُ موسى إمامًا ورحمةً، كمَن يريدُ الحياةَ الدّنيا وزينتَها، فهوفي الضّلالةِ مُتردِّدٌ فيها، أو يكونُ قد حَذَفَ الأوّلَ وذَكَرَ الثّاني؛ والتّقديرُ: أفمَن كانَ يريدُ الحياةَ الدّنيا وزينتَها كمَن كانَ على بيّنةٍ مِن ربِّهِ، وفائدةُ حذفِ المُقابِلِ بيانُ أنَّ بينَ الفريقين تفاوتًا بعيدًا وتبايُنًا بيِّنًا[3]، والإيماءُ لنفي إمكانِ التّكافؤِ بينَ الفريقين، بحيثُ لا يمكنُ مقارنتُهُ، وفيه إيجازٌ بالحذفِ، كما أفادَ الحذفُ معنى العموم؛ أي: لِتذهبْ نفسُ السّامعِ كلَّ مَذهَبٍ مُمكِنٍ في تقديرِ المقابِلِ مِن قبائحِ أعمالِ مَن لا يكونُ على بيّنةٍ مِن ربِّهِ، فيشمَلُ مَن يريدُ الحياةَ الدّنيا وزينتَها، ومَن كابرَ، وعاندَ، وطلبَ إنزالَ الكنزِ، أو مجيءَ المَلَكِ مع الرّسولِ ﷺ، ومَن كفرَ باللّه، وكذَّبَ

لا تكافؤَ بينَ مَن هو على بيّنةٍ مِن ربِّهِ، ومَن هو في الضّلالةِ مُتردِّدٌ فيها

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/131، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 8/38.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/158، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/131.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 15/277، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/384، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/134، والسّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 6/299، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/26.

رسلَهُ، ومَن يفتري على اللّه الكذبَ، وكلُّ ما يجري في هذا السّياقِ، وفيه كذلك إبقاءُ ذهنِ السّامعِ على مكثٍ بخلافِ ما لو عُيِّنَ، فإنّه يُعرِضُ عنهُ بعدَ التّعيينِ، ويَذهلُ عنهُ بسرعةٍ لِتوطينِ نفسِهِ عليهِ، فكانَ حذفُ المقابِلِ مع كلمةِ التّشبيهِ هنا أبلغَ مِنَ الذّكرِ[1].

فائدةُ حرفِ الاستعلاءِ: ﴿عَلَىٰ﴾:

عَبَّرَ بحرفِ الاستعلاءِ للإشعارِ بتمَكُّنِهم مِنَ البيّنةِ، وثباتِهم عليها، وتمسُّكِهم بها.

مَن تمسَّكَ بالبيّنةِ أدركَ حقَّهُ دونَ مَظلمةٍ

دلالةُ تنكيرِ: ﴿بَيِّنَةٍ﴾:

أفادَ التّنكيرُ تعظيمَ البيّنةِ وتفخيمَها؛ أي: برهانٍ نَيِّرٍ واضِحٍ عظيمِ الشّأنِ[2].

نكتةُ التّعبيرِ: ﴿بَيِّنَةٍ﴾، ودلالتُهُ:

لمّا كانَتِ البيّنةُ بمعنى الدّليلِ الشّاملِ للعقليِّ والنّقليِّ، وأفادَ اللّفظُ أنَّهُ كثيرُ الوضوحِ والبيانِ في نفسِهِ باقترانِهِ بالتّاءِ الّتي للمُبالغةِ، دلَّ بلازمِ معناهُ على أنَّه كثيرُ الإرشادِ إلى الحقِّ والصَّوابِ، المناسب للفظِ العمومِ ﴿أَفَمَن﴾؛ والمعنى: أفمَن كانَ على برهانٍ مِنَ اللّه يدلُّهُ على الحقِّ والصَّوابِ فيما يأتيهِ ويَذرُهُ[3].

البيّنةُ مِن ربِّ العالَمين، واضِحةٌ في نفسِها، مُرشِدةٌ إلى الحقِّ

فائدةُ مجيءِ حرفِ الجرِّ ﴿مِّن﴾:

أفادَ مجيءُ ﴿مِّن﴾ الّتي لابتداءِ الغايةِ المجازيّةِ هنا؛ أنَّ البيّنةَ الممدوحَةَ هي الّتي تكونُ مِن ربِّهِ القائمِ على تربيتِهِ وإصلاحِهِ، ولم يقُلْ: (بيّنة ربِّهِ) على الإضافةِ؛ لدلالةِ ﴿مِّن﴾ على مَعنى الابتداءِ؛ للإشعارِ بخصوصيَّةِ هذهِ البيّنةِ.

فضلُ اللهِ على عبادِهِ المؤمنينَ، بإرشادِهِم وهدايتِهم إلى الحقِّ المُستبينِ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/159، والحنفيّ، الأطول شرح التّلخيص: 2/75.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/195.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/157، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/131، والخفاجيّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 5/83.

دلالةُ التعبير: ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾:

لمّا أسندَ البيّنةَ إلى لفظِ الرّبوبيّةِ أفادَ أنَّه تعالى أقامَهُم على البيّنةِ بفضلِهِ ومنّتِهِ، وأنَّه الهادي لَهُم، المُصلِحُ لأحوالِهِم بمُقتضَى ما ركَزَهُ سبحانَهُ في النّفوسِ، وبمُقتضَى ما هَدَى إليهِ بالرّسالاتِ الإلهيّةِ، وأنَّ بهذهِ البيّنةِ صلاحَ الأحوالِ في الدّنيا والآخرةِ، كما أفادَ الإسنادُ قوّةَ هذه البيّنةِ، وزيادةَ تعظيمِها بكونِها مِن ربِّ العالَمين، وليسَت مِن غيرِهِ[1].

صلاحُ الأحوالِ في الدّنيا والآخرةِ، بالثّباتِ على البيّنةِ

سببُ إيثارِ صيغةِ المضارعِ: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾:

لمّا جاءَ الفعلُ بصيغةِ المضارعِ دلَّ على استمرارِ التّلوِ أو التّلاوةِ – على كلا المعنيَين – وتجدُّدِها؛ ليفيدَ تجدُّدَ فعلِ الشّاهدِ، كما أنَّ في إيرادِ هذه الصّيغةِ تصويرًا للحالةِ؛ ليكونَ أكثرَ تأثيرًا في نفوسِ السّامعينَ.

تصويرُ الحالةِ وتجدُّدُها

دلالةُ الضّميرِ في ﴿وَيَتْلُوهُ﴾:

يعودُ ضميرُ الهاءِ في ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ إلى ﴿بَيِّنَةٍ﴾، سواء أكانَتِ البيّنةُ بمعنى القرآنِ أوِ البرهانِ مِنَ الفطرةِ أو العقلِ، وذُكِرَ الضَّميرُ مُراعاةً لِلمعنى، فلمّا قالَ: ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ آذنَ بأنَّ البيّنةَ هي الأساسُ، وأنَّ الإيمانَ هو المقصودُ.

البيّنةُ هي الأساسُ، والإيمانُ هو المقصودُ، وغيرُه تبعٌ لهُ

دلالةُ تنكيرِ: ﴿شَاهِدٌ﴾:

يفيدُ التّنكيرُ هنا تفخيمَ الشّاهدِ وتعظيمَهُ[2]، بما دلَّ عليه السّياقُ، وبتعلُّقِ الجارِّ والمجرورِ في قولِه: ﴿مِّنْهُ﴾؛ أي: مِن ربِّهِ.

تفخيمُ الشّاهدِ هنا مَلمَحٌ في الدّلالةِ عنِ المُرادِ

دلالةُ الواوِ في: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾:

تحتملُ الواوُ أن تكونَ عاطفةً لِمُفردٍ على مُفردٍ، فإذا كانَ ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ بمعنى التّلاوةِ؛ أي: القراءةِ، فالتّقديرُ: يتلوهُ شاهدٌ منهُ، ويتلوهُ مِن

تنوُّعُ المعنى لِتنوُّعِ التّوجيهِ في السّياقِ الوجيهِ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3685.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/195.

قبلِه كتابُ مُوسى، وعُطِفَ ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ على ﴿شَاهِدٌ﴾ مع كونِه مُقدَّمًا عليه في النّزولِ، فكأنَّهُ قِيلَ: أفَمَن كانَ على بيّنةٍ مِن ربِّه، ويَشهَدُ به شاهدٌ منه، وشاهدٌ آخرُ مِن قبلِه هوَ كتابُ مُوسى، وإنَّما قُدِّمَ في الذّكرِ المُؤخَّرِ في النّزولِ؛ لكونِه وَصفًا لَازمًا لهُ غيرَ مُفارِقٍ عنهُ، ولِعراقتِه في وصفِ التَّلْوِ[1]، وإذا كانَ الفعلُ بمعنى التّلاوةِ، ففيه مَجازٌ بإسنادِ التّلاوةِ الّتي هي القراءةُ إلى الكتابِ، وفائدتُهُ تقريرُ معنى مَضمونِ الكتابِ المؤيّدِ للبيّنةِ، وإذا كانَ ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ بمعنى عقيبه، فالمعنى: يتلو القرآنَ ويُتبِعُهُ؛ لكونِ كتابِ مُوسى شاهدًا يَشهدُ بصحَّةِ البيّنةِ، وتحتملُ أن تكونَ عاطفةً لجملةٍ على جملةٍ؛ لتكونَ جملةُ ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ خبرًا مُقدَّمًا ومُبتدأً مُؤخَّرًا؛ لِتفيدَ تقريرَ شهادةِ كتابِ مُوسى على القرآنِ، وعلى نبوَّةِ سيّدِنا محمَّدٍ ﷺ، كما تحتملُ أن تكونَ استئنافيّةً[2].

سببُ تخصيصِ ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ - التّوراةِ - بالذّكرِ:

إيـــرادُ الـدّلـيـلِ المُـجـمَـعِ عليهِ أوفـــى في قـيـامِ الحجَّةِ وتقريرِها

قد يُقالُ: لِمَ لَمْ يذكرِ الإنجيلَ، وهو بينَ القرآنِ وكتابِ مُوسى؟ وجوابُهُ: أنَّه خَصَّ كتاب موسى - التَّوراةَ - بالذِّكرِ؛ لأنَّ المِلَّتَينِ - أي اليهود والنّصارى - مُجمِعَتانِ على أنَّهما مِن عندِ اللّه، والإنجيلُ ليسَ كذلكَ؛ لانَّ اليهودَ يُخالِفونَ فيه، فكانَ الاستشهادُ بما تقومُ به الحُجَّةُ على الطّائفتينِ أولى: وهذا يجري مع قولِ الجنِّ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: 30][3].

نكتةُ إيثارِ ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾:

الـوحـيُ الّـذي أُنزِلَ على مُوسى هو نفسُهُ الّذي أنزلَ القرآنَ على النّبيِّ الخاتمِ

ذُكِرَ ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ دونَ أن يقولَ (التّوراة)؛ للإيماءِ إلى تكثيرِ الشّهادةِ، بذكرِ المضافِ والمضافِ إليهِ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الوحيَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/195.
(2) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/441، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/17، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/131، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/28.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/158، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/135.

الّذي أنزلَ الكتابَ على مُوسى ﷺ هو الوحيُ نفسُهُ الّذي أوحى القرآنَ إلى رسولِ اللّه محمّدٍ ﷺ، وفيه تنبيهٌ كذلكَ إلى أنَّ المُعتَبَرَ هو الكتابُ الّذي أُنزِلَ على مُوسى، وليسَ الكتابُ الّذي حُرِّفَ بعدَ موسى؛ أي: التّوراةُ المُحرَّفةُ.

بلاغةُ الاستعارةِ في: ﴿إِمَامًا﴾:

لمّا كانَ الإمامُ هو القدوةَ الّذي يُؤتمُّ بهِ شبَّهَ كتابَ مُوسى بالإمامِ بجامعِ الاقتداءِ بهِ في الدّينِ، وأشعرَتِ الإضافةُ أنَّ الممدوحَ بوصفِ الإمامةِ والرّحمةِ هو الكتابُ الّذي نَزَلَ على مُوسى، وليسَ الّذي حرّفوهُ.

المَمدوحُ بوصفِ الإمامةِ، هو التّوراةُ غيرُ المُحرَّفةِ مِنَ البشرِ

بلاغةُ المجازِ المُرسَلِ في: ﴿وَرَحْمَةً﴾:

وُصِفَ كتابُ مُوسى بأنَّه رحمةٌ؛ لأنَّهُ يَهدي إلى الحقِّ في الدُّنيا والدّينِ، وذلكَ سَبَبٌ لِحُصولِ الرَّحمةِ والثَّوابِ، فلمّا كانَ سببًا للرَّحمةِ أطلَقَ اسمَ الرَّحمَةِ عليهِ إطلاقًا لاسمِ المُسَبَّبِ على السَّببِ[1].

التّوراةُ غيرُ المُحرَّفةِ سببٌ لرحمةِ اللهِ في الدّنيا والآخرةِ

مناسبةُ مجيءِ الحالَين ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾:

لمّا جاءَ الحالانِ على معنى المدحِ لكتابِ مُوسى ﷺ الّذي هو شاهدٌ آخرُ على البيّنةِ أفادا مَدحَ المتلوِّ وتفخيمَهُ؛ إذ التَّعرُّضُ للوصفين في سياقِ كونِ كتابِ مُوسى شاهدًا يقتضي فخامةَ المتلوِّ، وهو القرآنُ، إنْ كانَ المرادُ مِنَ البيّنةِ القرآنَ، أو مدحَ البرهانِ الفطريِّ والعقليِّ إنْ كانَ المرادُ مِنَ البيّنةِ الفطرةَ والعقلَ[2].

مدحُ المتلوِّ وتفخيمُهُ، تأكيدٌ لجلالِهِ وقدسيّتِهِ

نكتةُ التّعبيرِ باسمِ الإشارةِ ﴿أُولَٰئِكَ﴾:

أشارَ بـ ﴿أُولَٰئِكَ﴾ إلى مَنْ كانَ على بيِّنةٍ مِن ربِّهِ، وجَمَعَ على المعنى؛ أي: النّبيّ ومَن معهُ مِنَ المؤمنينَ، ونكتةُ التّعبيرِ باسمِ الإشارةِ بيانُ أنَّهُم استحقُّوا أنْ يُؤمنوا به بما اتُّصِفوا بهِ مِن تلكَ الأوصافِ،

الإيمانُ بالقرآنِ دليلُ الهدايةِ مِنَ اللهِ الرّحمنِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/330.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/195، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/51.

وهيَ كَونُهُم على بيِّنةٍ من ربِّهم مُعَضَّدَةٍ بشاهدٍ يَتلوهُ ومن قَبلِهِ كتابُ موسى؛ أي: التَّوراةُ غيرُ المُحرَّفةِ[1].

فائدةُ التّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾:

الإيمانُ الممدوحُ هو القائمُ على البرهانِ لا التّقليدِ

أفادَ التّعبيرُ بصيغةِ المضارعِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ استمرارَ إيمانِهم وتجدُّدَهُ حالًا فحالًا بسببِ ما ذُكِرَ مِنَ الأوصافِ الّتي قبلَ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ ليفيدَ أنَّ إيمانَهُم مُتجدِّدٌ بالحقائقِ لا بالتّقليدِ، حسبما تشهدُ بهِ الشّواهدُ الحقّةُ المُعربةُ عن حقِّيَّتِهِ[2].

مِن مُناسباتِ التّعبيرِ:

الإقرارُ بالإيمانِ لِلمُؤمنينَ، والتّمهيدُ لِلكلامِ عنِ الكافرينَ

مِن مُناسباتِ التّعبيرِ بـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦٓ﴾ أنّه لمّا كان مَن كانَ على بيّنةٍ من ربِّهِ يقتضي أن يكونَ مُؤمِنًا بالقرآنِ كانَ التّصريحُ بإيمانِهِم بالقرآنِ بعدَ ذكرِهِ مُجملًا؛ للإشعارِ بالاعتدادِ بإيمانِهِم، وكونِهِ إيمانًا مُقرًّا بهِ، ولتمهيدِ الكلامِ على ضدِّهِم، وهُمُ الّذين يَكفرونَ بهِ[3].

دلالةُ الإخبارِ عنِ اسمِ الإشارةِ:

تتابعُ البراهينِ سببُ اليقينِ لدى المؤمنينَ

لمّا ذَكَرَ قولُهُ تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦٓ﴾ تمكُّنَ المؤمنينَ مِنَ البيّنةِ، وتأييدَهُ بشاهدٍ من ربِّ العالَمين، وهو القرآنُ، ومن قبلِ القرآنِ كتابُ مُوسى عليه السلام، أفادَ أنَّ اجتماعَ هذهِ الثَّلاثةِ قَد بَلَغَ بهذا اليَقينِ في القوَّةِ والظُّهورِ والجلاءِ إلى حيثُ لا يُمكِنُ الزِّيادَةُ عليه[4].

دلالةُ الواوِ في: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ﴾:

الجمعُ بينَ التّرغيبِ والتّرهيبِ؛ لتقويةِ الإيمانِ وتثبيتِهِ

أفادتِ الواوُ العطفَ على جملةِ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؛ فيكونُ بعدَ أنْ مَدَحَ المؤمنينَ بالقرآنِ عَطَفَ عليهِ التّحذيرَ مِنَ الكُفرِ بهِ والإعراضِ عمّا تبيَّنَ لهُ من بيِّنةِ ربِّهِ وشواهدِ رُسُلِهِ؛ ليجمعَ بينَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/28.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/195.
(3) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/51.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/330.

التّرغيبِ والتّرهيبِ؛ والمعنى: مَن يكفُرْ بالقرآنِ، ولَم يُصَدِّقْ بتلكَ الشّواهدِ الحقَّةِ الواضحةِ مِن أيِّ جماعةٍ مُتحزّبةٍ، فالنّارُ مَوعِدُهُ[1].

نكتةُ التّعبيرِ بـ ﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾:

عُبِّرَ بلفظِ ﴿ٱلْأَحْزَابِ﴾ للإيذانِ بأنَّ أهلَ كُلِّ ملَّةٍ كافرةٍ مُتحزِّبةٌ مُتماسِكةٌ على المؤمنين، ففيه إشعارٌ بقوّتِهم وغلظتِهم، وأنَّ قوّتَهُم لا تغني عنهُم مِنَ اللهِ شيئًا؛ إذ جَعَلَ مَصيرَهُمُ النّارَ، وفيه تعريضٌ بكفرِ مَن تجمَّعَ على حربِ رسولِ اللهِ [2]ﷺ، وأفاد التعريف بـ (أل) الاستغراقَ، فيتناولُ اللّفظُ جميعَ أهلِ الملِ مِن غيرِ المؤمنينَ.

قـوّةُ المُتحزِّبينَ على المؤمنينَ لا تُغني عنهُم مِنَ اللهِ شيئًا

فائدةُ التّعبيرِ بـ ﴿أَفَمَن﴾:

يفيدُ اسمُ الشّرطِ العمومَ، وجاءَ قولُهُ ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾؛ بيانًا للإبهامِ المُضمَّنِ في اسمِ الشّرطِ، ولمّا كانَ لفظُ (مَن) يُؤذِنُ بعمومِ الأفرادِ، كما دلَّ عليه عودُ الضّميرِ في قولِهِ: ﴿مَوْعِدُهُۥ﴾، دلَّ على أنَّهُم، وإنْ كانوا مُتحزِّبينَ مُستقوينَ لاجتماعِهم، لكنّهُم سيحاسبونَ فردًا فردًا، فجزاءُ كلِّ فردٍ يكفرُ مِنَ الأحزابِ هو النّارُ.

جـــزاءُ كـلِّ فـردٍ يكفرُ مِـنَ الأحزابِ هو النّارُ

دلالةُ الجملةِ الفعليّةِ:

أفادَ مجيءُ خبرِ اسمِ الشّرطِ جملةً فعليَّةً في قولِهِ: ﴿يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ تقويةَ الحُكمِ؛ بمعنى تحقيقِ تعليقِ أنْ تكونَ النّارُ مَوعِدَ مَن يكفرُ بالقرآنِ.

تحقيقُ تعليقِ الشّرطِ؛ لتقويةِ الحُكمِ المُعلَّقِ وتقريرِهِ

وأفاد التعبير بصيغة المضارع لا بصيغة الماضي الإشعار باستمرارِ كفرِهم بالقرآنِ، وتجدُّدِ هذا الكفر حالًا فحالًا بتجدّد زواجر القرآن ونواهيه في مسامِعهم.

دلالةُ مجيءِ جزاءِ الشّرطِ جملةً اسميةً مصدّرةً بالفاءِ:

في قوله تعالى: ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾، وقعت الفاء في محلّ جزاء الشرط: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾، فدلّتْ على التَّرتُّبِ والسّببيّةِ وأفادَت أنَّ

الكفرُ بالقرآنِ سببٌ للخلودِ في النّارِ، وبئسَ القرارُ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/195، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/29.
(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/52.

وقوعَ الجزاءِ بسببِ كفرِهم بالقرآنِ، وأنّ هذا الجزاء ثابتٌ بما دلّ عليه التعبير بالجملة الاسمية لكون النّارِ موعدَهم، ومَن كانَتِ النّارُ مَوعِدَهُ سيكونُ في سعيرِها مَوردُهُ.

براعةُ الكنايةِ في: ﴿مَوۡعِدُهُۥۚ﴾:

لا مفرَّ لمَن يكفرُ بالقرآنِ مِن ورودِ النّارِ والخلودِ فيها

في قوله: ﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ﴾ أخبرَ عَنِ النّارِ بأنَّها مكانُ وَعدِهِ الَّذي يَصيرُ إليه، فيفيدُ أنَّه يَرِدُ هذا المكانَ لا مَحالةَ مع مقاساةِ حرِّها؛ لأنَّ وعدَ اللّه لا يتخلَّفُ، ولدلالةِ الجملةِ الاسميّةِ ﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ﴾ على ثبوتِ المعنى، كما أشعرَ بالورودِ قَطعًا لزومُ وقوعِ الجزاءِ بوقوعِ الشّرطِ، وأنْ لا مَفرَّ لهُ منها، وفي جعلِها مَوعِدًا إشعارٌ بأنَّ لهُ فيها ما لا يُوصَفُ مِن أفانينِ العَذابِ[1].

مفهومُ الشّرطِ والجزاءِ في سياقِ جعلِ النّارِ جزاءً لِمَن كفرَ:

النّارُ مَوعِدُ الكافرينَ بالقرآنِ، والجنَّةُ مَوعِدُ المؤمنينَ بهِ

لَمّا دَلَّ قوله: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ﴾ على أنَّ مَنْ يَكفُرُ بالقرآنِ فالنّارُ مَوعِدُهُ، دَلَّت على أنَّ مَنْ لا يَكفُرُ بهِ لَن تكونَ النّارُ مَوعِدَهُ، أو يُقالُ لمّا كانَتِ النّارُ مَوعِدَ الكافرينَ بالقرآنِ كانَتِ الجنَّةُ مَوعِدَ المؤمنينَ بهِ، فَحَذَفَ جزاءَ مَن آمنَ وذَكَرَ جزاءَ مَن كَفَرَ؛ لأنَّ المقامَ مَقامُ تهديدٍ ووعيدٍ لِمن نَسَبَ إلى الرّسولِ ﷺ افتراءَ القرآنِ، وعاندَ، وكذَّبَ، وطلبَ المعجزاتِ، وفي التّعبيرِ حثٌّ على الإيمانِ بالقرآنِ والعملِ بهِ[2].

براعةُ التّعبيرِ بالخطابِ في النّهي عنِ المريةِ منهُ:

التّحريضُ على النّظرِ الصّحيحِ المُزيلِ للشّكِّ، في أنَّ القرآنَ مِن عندِ اللهِ

ظاهر الخطابِ في قوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ﴾ لِلنَّبيِّ ﷺ، ولكنْ لأنَّ النَّهيَ يَقتَضي فسادَ المَنهيِّ عنهُ ونَقصَهُ، فمِنْ لوازمِهِ ذمُّ المُتَلَبِّسِ بالمَنهيِّ عنه، ولمّا كانَ المُخاطَبُ غيرَ مَظِنَّةٍ لِلتَّلَبُّسِ بالمَنهيِّ عنهُ، فيُطلَبُ مِنه تَركُهُ، ويكونُ النَّهيُ طَلَبَ تَحصيلِ الحاصِلِ، تَعَيَّنَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/195، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/52.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/331.

أن يكونَ النَّهيُ غيرَ مُرادٍ بِهِ الكَفُّ والإقلاعُ عَنِ المَنهيِّ عنهُ، فَيَكونُ مُستَعمَلًا في لازِمِ ذلِكَ بقرينةِ المَقامِ، ولازِمُهُ هو جميعُ المُكلَّفينَ[1]، أو يكونُ كنايةً تعريضيّةً بالكافرينَ بالقرآنِ، والكلامُ على الوجهين يكونُ على خلافِ مُقتضَى الظّاهرِ، ونكتةُ توجيهِ الخطابِ للنّبيِّ ﷺ التَّهييجُ وزيادةُ التّثبيتِ، ولِتحقيقِ حقّيَّةِ القرآنِ، وأنَّه بحيثُ لايشكُّ فيه، والتّحريضِ على النّظرِ الصّحيحِ المُزيلِ للشّكِّ في أنَّ القرآنَ مِن عندِ اللّه، باجتنابِ أسبابِ الشّكِّ والأخذِ بلوازمِ الحقِّ، وفيه تعريضٌ كذلك بأنَّه إذا كانَ النّبيُّ مُخاطَبًا في النّهي فنهيُ غيرِهِ مِنَ المُكلَّفينَ عنِ الشّكِّ في القرآنِ أولى وأحرى، ويدخلُ فيه الكافرون دخولًا أوّليًّا[2].

فائدةُ التّعبيرِ بـ ﴿فِي﴾:

النّهيُ عنِ الشّكِّ في القرآنِ، والانغماسِ فيه

أفادَ حرفُ الجرِّ ﴿فِي﴾ الظّرفيَّةَ المجازيّةَ، بمعنى النّهي عن أن يكونوا مُتلبِّسينَ في المِريةِ، بحيثُ تكونُ المِريةُ ظرفًا لَهُم، فيكونُ الكلامُ كنايةً عن ذمِّهِم، بما أشعرَ بهِ اللّفظُ مِن أنَّ مِريتَهُم في القرآنِ قد تَمكَّنَت منهُم، وهُم مُنغمسونَ فيها؛ لِشدَّتِها[3].

دلالةُ الضّميرِ في: ﴿مِّنْهُۚ إِنَّهُ﴾:

تنوُّعُ عودِ الضّميرِ توسُّعٌ في المعنى الأثيرِ

يحتملُ الضّميرُ في ﴿مِّنْهُ﴾ و﴿إِنَّهُ﴾ أن يعودَ على الضّميرِ في قولِهِ تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ﴾، والتّقديرُ: فلا تكُ في مِريةٍ مِنَ القرآنِ، إنَّ القرآنَ الحقَّ مِن ربِّكَ، ويحتملُ أن يعودَ على المفهومِ مِن جزاءِ الشّرطِ، والتّقديرُ: فلا تكُ في مِريةٍ مِن أنَّ مَوعِدَ الكافرِ النّارُ، والأوّلُ أظهرُ وأليقُ بالسّياقِ[4].

(1) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 9/18.
(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/52، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/29.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/29.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/350، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/331.

سببُ إيثارِ النّهي عَنِ المِريةِ دونَ التّكذيبِ:

إذا كانَ الشَّكُّ في القرآنِ مَذمومًا، فالاعتقادُ بكذبِ القرآنِ أشدُّ ذمًّا وقبحًا

اختِيرَ النَّهيُ على المِريَةِ دونَ النَّهيِ عَنِ اعتِقادِ أَنَّهُ كَذِبٌ كما هوَ حالُ المُشرِكينَ؛ لأنَّ النَّهيَ عَنِ الامتِراءِ في القرآنِ يَقتَضي النَّهيَ عَنِ الجَزمِ بالكذِبِ بالأولَى؛ فالنَّهيُ عنِ العامِّ يقتضي النّهيَ عنِ الأخصِّ منهُ، فإذا كانَ التَّردُّدُ في القرآنِ، والشّكُّ فيه مَذمومًا مَنهيًّا عنهُ، كانَ الاعتقادُ بكذبِ القرآنِ أشدَّ ذمًّا وقبحًا، فإنَّ الشّكَّ في القرآنِ مبدأٌ للتّكذيبِ فيهِ، فنهى عنِ الأدنى؛ لتعظيمِ شأنِ الإيمانِ بالقرآنِ، وفيه تَعريضٌ بأنَّ ما فيهِ المُشرِكونَ مِنَ اليَقينِ بكذِبِ القُرآنِ أشدُّ ذمًّا وشناعةً[1].

فائدةُ التّعبيرِ بـ ﴿مِن﴾:

الشَّكُّ في نُزولِ القرآنِ مِن عندِ اللهِ شَكٌّ في مَجموعِ حقيقَتِهِ

لمّا كانَت ﴿مِن﴾ ابتدائيَّةً كانَ المعنى فلا تكُ في شكٍّ ناشئٍ عَنِ القرآنِ؛ ليفيدَ الشّكَّ في ذاتِهِ وحقيقتِهِ وفي نزولِهِ وفي كونِهِ كتابًا مِن عندِ اللهِ، فالشَّكُّ النّاشئُ على نُزولِهِ شكٌّ في مجموعِ حقيقتِهِ[2]، ولو قالَ: (فلا تكُ في شكٍّ فيه) لأفادَ الشّكَّ في معانيهِ ودلالاتِهِ، فكانَ مجيءُ ﴿مِن﴾ أعمَّ وأشملَ في المعنى.

براعةُ التّعبيرِ في: ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾:

القرآنُ حقيقةٌ واضحةٌ، فلا يَنبَغي أن يُمتَرَى في صِدقِهِ

لمّا نهى اللهُ تعالى عنِ المِريةِ في القرآنِ أقامَ الحجّةَ والدّليلَ بحرفِ التّأكيدِ، فكأنَّ ﴿إِنَّهُ﴾ قامَ مَقامَ بيانِ السّببِ، مع تقريرِ ما دلَّت عليه جملةُ ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ﴾؛ بمعنى: أنَّه مِن وضوحِ حقيقتِهِ لا يَنبَغي أنْ يُمتَرَى في صدقِهِ، كما أنَّ حرفَ التَّأكيدِ يقومُ مَقامَ الأمرِ باعتقادِ حقّيَّتِهِ لِما يدُلُّ عليهِ التَّأكيدُ مِنَ الاهتمامِ[3].

براعةُ مجيءِ: ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ مُعرَّفًا:

تعريفُ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ بـ (أل) الجنسيّة؛ للإيذانِ بقصرِ جنسِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/31.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/29.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/29.

الحقِّ على القرآنِ، وهو قصرٌ إضافيٌّ؛ للإشعارِ بكمالِ الحقِّ فيه؛ أي: في حقيقتِهِ ونزولِهِ ومعانيهِ ومبانيهِ، حتَّى كأنَّهُ لا يوجدُ حقٌّ غَيرُهُ، كما في قولِ العربِ: حاتمٌ الجَوادُ، ويحتملُ أن يكونَ قصرًا حقيقيًّا بالنّظرِ إلى الكتبِ المُنَزَّلَةِ في وقتِ نزولِ القرآنِ؛ ليفيدَ حصرَ الحقِّ فيه دونَ سائرِ الكتبِ؛ للإشعارِ بأنَّها قد حُرِّفَت عمّا كانَت عليه.

كمالُ الحقِّ في القرآنِ؛ لأنّه الحقُّ بيقينٍ، دونَ سائرِ الكتبِ

سببُ إيثارِ التّعبيرِ بـ ﴿رَبِّكَ﴾:

لم يقُل: (إنّه الحقُّ مِنَ اللّه) أو (إنَّه الحقُّ مِن ربِّهم)، وبيانُهُ أنَّه لمّا كانَ الرَّبُّ هو المُصلِحَ لأحوالِ النّاسِ، القائمَ عليهم وعلى شؤونِهم، اختيرَ لفظُ الرّبوبيّةِ هنا ليدُلَّ على أنَّ القرآنَ الحقَّ يُصلِحُ أحوالَهُم وشؤونَهُم، وهو الّذي يتولّاهُم، ويقومُ بتربيتِهم، إنْ أقاموا عليهِ، فالقرآنُ يُرَبِّيكَ في دينِكَ ودُنياكَ[1].

القرآنُ الّذي هو الحقُّ يصلِحُ أحوالَ النّاسِ وشؤونَهم، ويقومُ بتربيتِهم

دلالةُ الإضافةِ في: ﴿رَّبِّكَ﴾:

أفادتِ الإضافةُ إلى كافِ الخطابِ تشريفَ رسولِ اللّه ﷺ وتفخيمَ شأنِهِ الكريمِ؛ والمعنى: هو مُتولّيكَ وقائمٌ بأمرِكَ، وإنْ كذّبوكَ، وكفروا بالقرآنِ، كما أفادَتِ الإضافةُ الإيذانَ بأنَّ تكذيبَ رسولِ اللّه تكذيبٌ للحقِّ الّذي هو مِن عندِ ربِّكَ يا محمَّد ﷺ.

تكذيبُ رسولِ اللّهِ تكذيبٌ للحقِّ الّذي هو مِن عندِ اللهِ

دلالةُ الواوِ في: ﴿وَلَٰكِنَّ﴾:

تفيدُ الواوِ الحاليَّة؛ بمعنى: إنَّ القرآنَ هو الحقُّ مِن ربِّكَ، والحالُ: أنَّ أكثرَ النّاسِ لا يُؤمنون، وفي مجيءِ واوِ الحالِ هنا تعجيبٌ مِن انتفاءِ إيمانِهم مع ظهورِ حقّيَّةِ القرآنِ ووضوحِها.

التَّعجيبُ مِنَ الكُفرِ بالقرآنِ، مع ظهورِ حقّيَّتِهِ ووضوحِها

سببُ إيثارِ الاستدراكِ في: ﴿وَلَٰكِنَّ﴾:

لمّا حَصَرَ اللّه تعالى الحقَّ في القرآنِ دلَّ بمُقتضَى العقلِ أن يؤمنَ بهِ كلُّ النّاسِ، فجاءَ الاستدراكُ ليفيدَ رفعَ تَوهُّمِ أنَّ كلَّ النّاسِ قد

مَن لم يؤمنْ بالقرآنِ، إمّا لقلّةِ نظرِهِ، وإمّا لعنادِهِ ومُكابرتِهِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/195.

آمنوا به، ففيه كنايةٌ عن التّعجيبِ من حالِهم، كما دلَّ على أنَّ مَن لم يؤمنْ بهِ فلقلَّةِ نظرِهِ واختلالِ فكرِهِ أو لعنادِهِ ومُكابرتِهِ[1].

دلالةُ حذفِ مُتعلَّقِ الفعلِ في: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

تغليبُ الهوى على اتّباعِ الحقِّ مِن أوصافِ الكافرينَ

يحتملُ أن يكونَ حذفُ المتعلَّقِ لإفادةِ العموم؛ والمعنى: لايؤمنونَ باللّه ولا بالقرآنِ ولا بالرّسولِ وغير هذا ممّا هو من مُقتضياتِ الإيمانِ وأصولِهِ، ففيه إيذانٌ بانتفاءِ حقيقةِ الإيمانِ عَنهُم في كُلِّ ما طُلِبَ الإيمانُ بِهِ مِنَ الحَقِّ؛ أي: إنَّ في طباعِ أكثرِ النّاسِ تَغليبَ الهَوَى على الحقِّ، فإذا جاءَ ما يُخالِفُ هَواهُم لم يُؤمنوا[2]، ويحتملُ أنْ يكونَ المُرادُ لا يُؤمِنونَ بما تقدّمَ ذكرُهُ من وصفِ القرآنِ.

مناسبةُ مجيءِ جملةِ التّذييلِ:

متابعةُ الحقِّ وعدمُ المبالاةِ بالجاهلينَ الّذين لا يؤمنونَ بالقرآنِ

قولُهُ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، أفادَت جملةُ التّذييلِ هاتِهِ تسليةَ الرّسولِ ﷺ والمؤمنين، والتّقدير: لمّا ظَهَرَ الحَقُّ ظُهورًا في الغايَةِ، ودلَّت عليه البراهينُ القيّمةُ، فكُنْ أنتَ والمؤمنون مُتابِعين له، وَلا تُبالوا بالجُهّالِ الّذين لا يُؤمنونَ[3].

توجيهُ المُتشابِهِ اللّفظيِّ بَين آيتي: سورةِ هود، والسّجدة:

حُذِفَتِ النّونُ مِنَ المضارعِ المجزومِ إيجازًا ومبالغةً، وأثبتت في السّجدةِ مُجاراةً لطولِ الكلامِ

جاءَتِ النّونُ محذوفةً هنا في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وقالَ في آيةٍ أخرى من هذه السّورةِ في قولِهِ: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ﴾ [هود: 109]، وثبتَتِ النّونُ في سورةِ السَّجدةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ﴾ [السجدة: 23]، ومُناسبةُ هذا الاختلافِ: أنَّ تخفيفَ اللّفظِ بحذفِ النّونِ في سورةِ هود يُناسِبُ إيجازَ الكلامِ المُتعلِّقِ بقولِهِ: ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/131، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/195.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/31.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/331.

مِّنْهُۚ﴾، والمتَّصِل به تَمامُهُ، تمامُ مَعنى المقصودِ، وذلك قولُهُ: ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وكذلك قولُهُ في آخِرِ السّورةِ: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ [هود: 109] إلى قولِهِ: ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾﴾ [هود: 109]، ووَرَدَ في سورةِ السَّجدةِ على أصلِ الكلمةِ قبلَ حذفِها، فقيلَ: ﴿فَلَا تَكُ﴾؛ ليَجريَ ذلكَ مع ما وَرَدَ في هذه السّورةِ مِن طولِ الكلامِ المُتعلِّقِ بقولِهِ: ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦۖ﴾ [السجدة: 23]؛ فنُوسِبَ الإيجازُ بالإيجازِ والطّولُ بالطّولِ[1]، ويحتملُ أن يكونَ حذفُ صوتِ النّونِ؛ للإشعارِ بالنّهي عن أقلِّ ما يُطلَقُ عليه مِريةٌ في كونِ القرآنِ مِنَ اللّه تعالى، ويُناسبُهُ تسلُّطُ النّهي على الكونِ.

(1) الغرناطيّ، ملاك التّأويل: 2/253 - 254.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»